من الأدب التركي

أبنـــاء المجرم

القاضي الشاعر :

فؤاد بك خلوصي أحد رؤساء محكمة النقض والابرام في الجمهورية التركية الآن وهو مولود في طرابلس الشام ، رجل فذ من رجال القانون وشاعر من أرق الشعراء عاطفة وأروعهم بيانا . ولهذا القاضي الشاعر ديوان باللغة التركية وقفت فيه عند قصيدة ممتعة من خالد الشعر يصف فيها تنفيذ حكم الاعدام على مجرم يترك في الحياة أرملة وأطفالا ، وقد كان الشاعر أحد قضاة المحكمة العسكرية التي حكمت باعدام المجرم في ثورة البلقان ، فاخترت تعريب هذه الأبيات لما فيها من حكمة وعواطف ، ولعرضها مشكلة كبرى من مشاكل العدل الانساني تجاه سر الجناة ف . ف

وكانت من شهر ديسمبر أواخر أيامه القارصة ، وكان آخر الليل ؛ سواد يربط على صقيع وديجور أربد ملفع بالجمود .

في كل خطوة أوحال متحجرة بالجليد وزمهرير يسفع الوجوه فيلفحها كالسعير .

تجهم وجه السماء كجمرة تنطفىء ، وشرارها بقية كواكب الليل ، حكمها الملال فاطبقت على أنوارها وتراجعت إلى الافول

وساد الآفاق ارتعاش صامت ، ونعق البوم مقلقاً سكون الظلمة العميق

أمامك ووراءك حلك الظلام ، وفوق رأسك سماء متألقة واجمة ، فالى أين مسيرك يا فؤاد ، مضطربا معقود اللسان ؟ إلى أين تتجه في آخر هذا الليل ، أيها الرجل ؟

هو قاتل أنزل القضاء عليه الحكم بالرفع إلى المشنقة ، وأمام قصر الجند المجلل بالرهبة بين المعاقل الحصينة ركزت يد الانتقام بل يد العدل آلة الاعدام ، وهنالك سينزل القصاص بمن أردى أحد الجنود شهيدا

هبوا من رقادكم أيها الشجعان وأسرعوا إلى المشهد ، ذلك حكم الأمة عادلا وهي تنتظر تنفيذه في المجرم المهين ! أيتها الرقة الحديدية سارعي لأطلاق رصاصك على الجاني . ولكن لا ، انما رصاص بنادقك شريف يضيع في هذا الخائن . اتركوا للحبل فريسته ، إن للموت المعلق قلادة القنب وقساوة الجلاد

أيها القضاة المقسمون بوجدانكم ! أفما أنتم الحاكمون بالاعدام إجابة لاختيار مجرد فيكم ، فعلى مَ ارتعاشكم ، وماهذا السهم النافذ الآن إلا سهمكم الذي شددتم له القوس وسددتم له المرمى . . ؟

لن أنسى ما حييت ما أرى

بين لجج الظلمات المطبقة على كل منظور ، كان نور مشعل واحد تجهمت أشعته على صفحة الأوحال لتزيد في روعة المشهد ، وكان هنالك جذعان من الأشجار مرتكزان على الأرض وفوقهما عارضة أفقية تدلى منها حبل تجسم الموت فيه وارتجف الروع برجفانه

أفما تعجب لهذا الانقلاب فيك ؟ علام حزنك واضطرابك وأنت الشاجب والقاضي ؟ لقد عددت هذا الجاني عدواً للإنسانية ورأيته وجدانك مستحقاً للإعدام ، وما يجديك افتكارك الآن شيئاً . اثبت أو تردد ، اضطرب أو تجلد ، لك ما تشاء ، فمشيئتك عبث وقولك لن يسمع ، ارجع إلى الوراء وقف إلى جانب ، اهرب وتوار عن الأنظار ، إن يد الجلاد هي التي تقبض الآن على زمام الأقدار

— ما اسمك وما اسم أبيك ؟

— فلان وأبي فلان على قيد الحياة

سئل هل له أولاد ، فترجم المترجم : إن له طفلين

وشعرت إذ ذاك أن اللجة قد فغرت فاها تحت رجلي

ارتفع الأنين من صدري فاختنق ، وربط الروع بشهقة الألم على أنفاسي ، وانتصبت أمامي الضحية المقربة لليتم طفلين متشحين السواد ، وصرخ مزفوف المشنقة : عفوك أيها الإله ! وخمدت أنفاسه

وغشت عيني ظلمة خففت من وراثها الأشياء . نفدت قولي وامتنع الاستجلاء عليّ ، فتلاشى أمام ناظري القاتل والمقتول وانتصب مكانهما خيال عيال باكية مصدوعة القلوب دامية الصدور

ذلك أب يبكي أرملة ويتيمين يحولون تأهين بالفقر والمسكنة في فيافي المستقبل الأدكن . ويلاه ماجنت هذه العيال لتقتسم الجزاء مع الجاني ؟ معضلة ، من يسبر غورها ؟ ومسئلة ، من يحل عقدتها ؟

لو أن هذا المشهد أحلام لبدده انفلاق الصباح وانعتق القلب من روعه وآلامه ، ولكن هي الحقيقة الهائلة ، ليتها كانت طيفا أو خيالا ...

فؤاد خلوصي